

رسالة سامية إلى المؤتمر الدولي حول العلاقات بين الإسلام وأوروبا

وجه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، يوم 17 محرم 1416هـ الموافق 15 يونيو 1995م، بوصفه رئيس للجنة السابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ورئيس لجنة القدس، رسالة إلى الندوة الدولية حول العلاقات بين الإسلام وأوروبا التي انعقدت بستوكهولم بمبادرة من الحكومة السويدية.

لقد تم افتتاح اشغال هذه الندوة من طرف السيدة لينا هيلم والن تم وزيرة الشؤون الخارجية بحضور ستين شخصية مختصين في الاسلام وجامعيين وكتاب ودعاة من افريقيا وآسيا واروبا والعالم العربي. وبهذه المناسبة، القى مستشار صاحب الجلالة السيد عبد الهادي بوطالب الخطاب الملكي السامي الموجه الى هذه الندوة .

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه
أيها السادة والسيدات

يطيب لنا أن نتوجه إليكم اليوم بالخطاب في مستهل ندوتكم هذه المخصصة لبحث العلاقات بين الإسلام وأوروبا نزولا منا عند رغبة الحكومة السويدية التي ترعى لقاءكم هذا على أرضها والتي نتوجه إليها بشكرنا على مبادرتها وعلى دعوتنا للتحدث إليكم . برصفنا ملك المغرب وأمير المؤمنين ورئيس المؤتمر الاسلامي ولجنة القدس . في الموضوع الهام الذي تتدارسونه والذي لا يخامرنا شك في أنكم ستكتبون عليه بكل نزاهة وتجرد.

وليس في نيتنا أن نقوم بجرد لعلاقات الدول الاسلامية بأوروبا ولا بسرد الاسباب التي كانت وراء فترات التبعاد بين الجانبين التي عاشتها . هذه العلاقات الممتدة في وئام وصفاء ما يربو على خمسة عشر قرنا وإنما نود . وبقدر الإمكان . إثارة انتباهكم

الى بعض ما نعتبره أساس سوء الفهم الذي طبع بعض التصورات والمواقف من الأدبان الثلاثة ولاسيما منها الدين الإسلامي وكم نحن في أمس الحاجة اليوم الى تصحيحها واستخلاص العبر منها لخير البشرية جمعاء.

لا أحد منا يجهل القواسم المشتركة بين الديانات السماوية التي مكنتها لحسن الحظ من إنشاء إرث حضاري أخلاقي وإنساني موحد فضلا عن الجانب العقائدي المتشخص في الإيمان بوحدة الخالق.

فالإنسانية في عصر الذرة والصواريخ والاكتشافات العلمية المذهلة وتوفر وسائل البناء والتعمير من جهة والهدم والتعطيم من جهة أخرى أحوج ما تكون الى رسالة السماء الخالدة تهدئ من نزوتها وتحد من جشعها لتجعل الإنسان يعيش بجانب أخيه الإنسان شاعرا بالامن والطمأنينة حر التعبير عما يجيش بخلفه وأعبا ما يؤمن به من خير وإصلاح ما دام لا يهدد أمن الآخرين. لذا فنحن نتوق جميعا الى قيام إدراك أفضل وتقارب أوسع لعلاقات العالم الاسلامي والعالم الغربي عبر الفهم المشترك والاحترام المتبادل ورفض الأحكام المسبقة الجاهزة والانكباب على دراسة هذه الإشكالية من منظور واضح لتوفير أدوات صلبة وممتينة للتعارف والتواصل بين الاسلام والغرب وخلق جو الثقة التي تشكل بالنسبة لمحور نقاشكم الحجر الأساس اذا ما كنا نرغب فعلا في الحفاظ على التواصل بين الحضارتين ولعل في هذا ما قد ييسر إجابتكم على الأسئلة الثلاثة التي ستكون موضع نقاش ندوتكم.

أيها السيدات والسادة

لقد التقى الفكر الإسلامي بالفلسفة الغربية في مسارهما الطويل مرارا وخاصة في العصر العباسي والعصر الحديث والذي حدث كما تذكرون أن اعلام المفكرين الاسلاميين في العصر العباسي كالفراهمي وابن سينا وغيرهما استوعبوا ما طرحه الفكر اليوناني عليهم وهضموه وتعاملوا معه بكل ترحاب بل استنبطوا منه قواعد وأساسا مبتكرة صالحة لهم كسليمان ولغيرهم من المجتمعات سواء منها المتحضرة او النامية وارضوا طموح الفكر البشري في مجال البحث عن التجديد فأثروا مضمون المعرفة وطبعوها بالطابع الاسلامي الأصيل لأن توجه الاسلام توجه عالمي لا يقتصر على أغراض الدين فحسب ولكن يعالج أيضا شؤون الحياة دقيقة وجليلة ويتصل

بمعاملات الأفراد والجماعات وما يشمل جميع جوانب الإنسان من أدق خصوصياته وأسراره وأحواله وأطواره وأمانته وأهدافه ونزعاته.

أيها السادة والسيدات

لقد كانت الدعوة الإسلامية في منطلقها الأول في بداية القرن السابع دعوة إلى نظام عالمي جديد قوامه الوحدة : وحدة الجنس البشري بعيداً عن فروقات السلالة واللون واللغة ووحدة العقيدة ووحدة الرسالة السماوية ووحدة المقاصد والأهداف وهكذا جاء الإسلام بذلك دين سماحة أو نظام وسط وسلام وتسامح وتعايش يعتمد العقل والعلم ويتحاور بالتي هي أحسن في غير غلو ولا تطرف، يتجدد بتجدد الاجتهاد الذي هو مؤسسة لا تتوقف عن إغناء التشريع بالجديد. كتابه المنزل هو القرآن الكريم الذي أفسح المجال للرأي المضاد. فإله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله محمد (ص) ويقول: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن». ويقول في آية أخرى: «وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون». ويقول أيضاً الله يحكم بينكم يوم القيامة في ما كنتم فيه تختلفون. وفي هاتين الآيات يتكرر الأمر من الله لنبيه سيدنا محمد (ص) ولاهته بالجدال والحوار بالحرص على مخالفتهم في الدين.

وقد أكد الحق سبحانه في كتابه المبين أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بإيمانه بالله ويملائته وجميع كتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. ويطبق الرسول (ص) الحوار مع نصارى نجران حيث تلا عليهم سورة آل عمران التي نزل فيها النداء العالمي للتعايش بين الديانات السماوية «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله» ولم يزل المسلمون على ذلك يقارعون الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان عملاً بقوله تعالى قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».

إن الإسلام يعتبر إذن الإيمان بكافة الرسل الأوائل وكتبهم المقدسة ورسالتهم السماوية من عمق العقيدة الإسلامية وتكرار رسالة أي رسول خروج عن الإسلام فلا مجال - والحالة هذه - أن يضيق المسلمون ذرعاً بحوار ما ولا سبيل لأن ينعتهم غيرهم بضيق الصدر والعزوف عن الحوار مادام دينهم الإسلامي يقر بأن الاختلاف بين الناس من سنن ربهم في الكون ولو شاء الله لمجعلكم أمة واحدة ومادام دستورهم - القرآن

الكريم . يحدد العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على نحو ما جاء في الآية التالية: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين» . ومادام قد خطط لهم أسلوب الحوار بقوله: «ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن» .

والمرجو أن لا ينظر الى الاسلام والمسلمين بمقاييس مشبوهة مغلوطة بدأت تنطبع . للأسف . في الأعوام الأخيرة في ذهنية الغرب عن الإسلام والإسلام منها براء وقد لا نكون مباليين إذا قلنا إن هناك من ينفخ فيها ويذكها اما عن قصد أو عن جهل وهؤلاء في أغلب الأحيان يلبسون الحق بالباطل أو يكتمون الحق وهم يعلمون .

إننا نود أن نغتنم لقاءكم هذا فرصة سانحة أخرى لتؤكد مرقفنا الواضح الثابت من نهج العنف وإدانة التطرف والإرهاب والدعوة الى سلوك منهج الحوار والتخاطب والتشاور لإيجاد القواسم المشتركة والأرضية الصالحة لتعايش حضاري عالمي يضمن ممارسة الشعائر الخاصة بكل فئة على حدة وقيم دعائم السلام والطمأنينة بين النفوس وفق التعاليم الإلهية ومن حسن الحظ أن تكون المجموعة الأوروبية كلها مشبعة بروح المسيحية واليهودية وهما دينان لا يكن لهما الإسلام الا كل التقدير والاعتبار .

وانطلاقا من هذا الواقع فإننا على يقين إنه ليس هناك مشكل اسلام في أوروبا وإنما عقدة المشكل تكمن في تراكمات ومخلفات للفترات الاستعمارية التي عاشتها الدول الإسلامية بوصفها جزءا من العالم الثالث بكل أوجهها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتي زادت حدتها بمرور الأعوام والسنين تركزت فيها الفوارق بين مستوى عيش الشعوب وقد آن نستدبر هذه المرحلة من تفكيرنا كمرحلة استنفذت أغراضها الى غير رجعة لنستشرف افاق مستقبل واعد بالتعاون والتفاهم بدران مركبات نقص أو استعلاء وبدون خلفيات مثقلة برواسب الماضي كما اننا ندعو ان لا يتحول هاجس الخوف من الخطر الشيوعي - الذي كان يقلق الغرب الى حين سقوط جدار برلين وانحيار الاتحاد السوفياتي - الى هاجس تخوف من انتشار الاسلام بأوروبا كما يبدو عند بعض منظري الغرب فالاسلام الصحيح لا يشكل على أوروبا خطرا ولا يحمل لها أذى أو ضررا ولا شيء فيه يبرر أن يكون عدوا أو ان يتهم اهله كلهم بالتطرف والإرهاب ورفض الحوار وهو الدين الذي ينبذ العنف ويقاومه وفق ما أشرنا إليه إننا

تدعو الأوروبيين الى إبداء المزيد من التسامح والنزاهة تجاه الإسلام وقبول التعامل معه كدين سماوي مسالم كما هو في حقيقته.

إن التاريخ قد أنصف هذا الدين وأهله عندما سجل ما تميز به الحكم الاسلامي من سماحة مثالية طويلة عهد وجود المسلمين بالاندلس وبالقنص الشريف حيث تعايش الأديان السماوية الثلاثة في ظل الحكم الاسلامي جنباً الى جنب في احترام متبادل طبقاً لتعاليم الاسلام الحقة.

أيها السادة والسيدات

إن التطورات السياسية والتقلبات الاقتصادية والمالية والتحولات الاجتماعية التي عرفها العالم والدول المصنعة بالخصوص والتي لم تتمكن الدول النامية من مواكبتها للأسباب التي تعلمون قد حالت دون توفر عدد من مواطني دول العالم الثالث على الشغل في أوطانهم وأرغمتهم على الالتجاء - ولو مؤقتاً - الى أوروبا وغيرها من باقي القارات حيث اسهموا بسواعدهم وعرقهم وفي كثير من الأحيان ببحوثهم العلمية في دعم اقتصادياتها دون أن يحول ذلك بينهم وبين حنينهم وتطلعهم الى العودة الى ديارهم ولا بينهم وبين تشبثهم بدينهم الذي ارتضوه لانفسهم وتعلقهم باوطانهم ومقدساتهم ودون إغفالهم كذلك عما يفرض عليهم واجب الإقامة والضيافة في مجتمعات غير مجتمعاتهم الأصلية لها هي الأخرى دياناتها وخصائصها ومقوماتها.

طريق الحوار هو وحده الأسلوب الصالح

وإذا كانت الأجيال الأولى من هؤلاء المهاجرين المسلمين قد استطاعت أن تتكيف مع ظروف الشغل والإقامة بأسلوب أو بآخر فإن الأجيال الصاعدة من أبنائهم وذرياتهم تتطلب منا جميعاً دولا وشعوباً أن نواجه أوضاعهم بالعناية اللازمة وأن نتكبد على قضايهم بكثير من العناية والاهتمام لكي لا يسقطوا في الضلالة فريسة للنوي الاهواء والشهوات من المشيعين بروح التعصب والعنصرية ولن يتم لنا ذلك كدول منشأ أو دول استقبال الا اذا أحسننا اختيار تأطيرهم وإحكام تربيتهم وتعليمهم وربطهم بهويتهم والا اذا أخذنا بأيديهم لمراجعة معتركات الحياة بجميع أعبائها ومسؤولياتها وتفاقم مشاكلها في عالم لا يرحم أصبحت الماديات فيه تطفئ على الروحيات وتكاد تنمحي منه القيم المثلى.

ونحن نؤمن كل الإيمان بأن طريق الحوار هو وحده الأسلوب الصالح في هذا المجال كغيره من المجالات الأخرى وأنه الخلق بمعالجة ما ينجم عن مقام ملايين المسلمين خارج أوطانهم من مشاكل وي طرح من صعوبات على أساس الأخذ بالرأي والرأي المضاد واحترام المعتقدات دون إجبار أو إكراه مصداقا لقوله تعالى في خطابه لرسوله محمد (ص) ولو شاء ربك لأمّن من في الأرض كلهم جميعا .

أفانت تكبر الناس حتى يكونوا مومنين وفي قوله عز من قائل يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم وطبقا للاعلان العام للحرية الدينية الذي جاء في هذه الآية لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .

وأملنا وطيد في أن تسفر أعمال مؤتمر هذا عن قرارات وتوصيات ترقى إلى اتساع افق جميع المشاركين في أعمالكم لاحقاق الحق والقبول به دون تعصب ولا تحيز وللتركيز على ما يجمع بين الديانات السماوية لا ما يفرق بينها .

أما الحوار بين الاسلام والديانات والحضارات الأخرى فهو قائم وسيظل قائما سواء في أوروبا أو في غيرها من بقاع الأرض ولذلك نتطلع إلى أن يكون حدث إقامة مؤتمر هذا بداية لعهد جديد يتم فيه التصالح إن لم نقل التفاهم الاسلامي المنشود مع قارتكم الأوروبية .

وفقكم الله وكلل مساعيكم بالنجاح . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .